المحاضرة الثانية:الفكر الجزائري بين اسئلة الماضي و تطلعات الحاضر، يوبا الثاني مجسدا سؤال العودة الى الاصول

تمهيد:

اشرنا في المحاضرة الاولى الى تاريخية الفكر الجزائري، وبينا انه قد مر بعدة مراحل، بداية من المرحلة القديمة وصولا الى المرحلة المعاصرة، ولعل من ابرز رواد وممثلي المرحلة الاولى نجد المثقف والسياسي يوبا الثاني، فمن هو يوبا الثاني؟ وما هي ابرز معالم فكره؟ ولمادا العودة اليه؟

1) من هو يوبا الثاني؟ 52 ق م --- 23 م.

ولد أغسطس أو يوبا أو جوبا الثاني (Juba2) في مملكة نوميديا، وهو ابن ملك يوبا الأول الذي قاوم الرومان مقاومة شرسة، واسترجع أملاك أبيه يوبا الأول .

وبعد هزيمة يوبا الأول أمام القوات الرومانية، أسر يوليوس قيصر ابنه يوبا الثاني الذي كان طفلا صغيرا بين خمس وسبع سنوات، فحمله إلى روما، حيث نشأ في البلاط الفاخر، وعاش في كنف الإمبراطور يوليوس قيصر، فعلمه الفنون والآداب والعلوم وشؤون الحكم في مدارس روما وأثينا ومعاهدهما .

ونظرا لمكانة يوبا الثاني الثقافية، وصدق ولائه، وإخلاصه للإمبراطور الروماني القيصر أوكتافيوس، فقد أجلسه هذا الأخير على عرش موريطانيا الغربية؛ نظرا لما قام به من خدمات جليلة لصالح شعبه. وبالتالي، حكم يوبا الثاني خمسين سنة في ظل الحماية الرومانية. ولم يضيع هذه السنوات إلا فيما يعود على شعبه الوفي بالخير والسؤدد والهناء. وبالتالي، "عرفت أيامه بالاستقرار والهدوء حتى توفي سنة23م، ليخلفه ابنه بطليموس الذي نهج سياسة أبيه في توحيد الأمازيغيين، وتحقيق آمالهم وطموحاتهم.

وقد توطدت العلاقات الإدارية والشخصية بين يوبا الثاني وقياصرة روما حتى استصحبه "كايوس قيصر، ولي عهد الإمبراطورية الرومانية،... إلى الشرق، وزوجه

هناك من الأميرة كليوبترا (La princesse Cléopâtre)، ابنة أنطوان وكليوبترا ملكة مصر".

2) شخصية يوبا الثاني:

وما يلاحظ على شخصية يوبا الثاني أنها شخصية متميزة بموسوعيتها الفكرية والثقافية.

-شخصية ذات خبرة محنكة في مجال السياسة والتدبير الإداري.

-تتميز شخصيته بالوفاء والولاء التام والتضحية من اجل الصالح العام.

- وهن هذه لشخصية يقول الباحث المغربي محمد بوكبوط:" لعله من المفيد الإشارة إلى شخصية هذا الملك المتميزة، فعلاوة على أصله النوميدي الأمازيغي، وتربيته الرومانية، فهو بونيقي[1] بما ورثه مع قومه من حضارة قرطاج، وإغريقي بثقافته وذوقه الفني، ومصري بزواجه من ابنة كليوباترة ملكة مصر، كل هذه الجوانب روعيت بدون شك من طرف الإمبراطور عند اختيار يوبا لاعتلاء عرش موريطانيا.".

هذا، و قد تعرض يوبا الثاني للاغتيال في أواخر حياته، بعد أن عاش نصف قرن في كنف الرومان. ومن ثم، أصبح المغرب، بعد وفاة يوبا الثاني، تابعا للحكم الروماني مباشرة. لذلك، فقد دخل الأمازيغيون المغاربة في مقاومة شرسة ضد القوات اللاتينية، انتهت بطرد الرومان أولا، والوندال ثانيا، والبيزنطيين الغزاة ثالثا.

-وقد تمكن يوبا الثاني، ومن بعده ابنه بطليموس، من توحيد القبائل الموريتانية في إطار مملكة مورية واسعة الأطراف، تنقسم إلى قسمين: موريطانيا القيصرية، وعاصمتها شرشال، وموريطانيا الطنجية، وعاصمتها وليلي. ومن أهم المدن التي كانت تابعة ليوبا الثاني في الأربعين للميلاد : طنجيس، وزيليس، وليكسوس، وسبتة، وتمودة، ووليلي، وبناسة، وتموسيط، وتوكولوسيدا، وبوماريا...

---

[1]- البونيق أو البونيون (punicus) هم شعب سامي في شمال أفريقيا جذورهم العرقية ترجح حسب "الأركلوجيين" إلى الفينيقيين الأول، أسسوا حضارات وامبراطوريات رفيعة ومتحضرة، إشتهر "البونيق" أو "البونيون" بالتجارة وانقسموا إلى مجموعات وجمهوريات وقبائل وممالك في غرب البحر الأبيض المتوسط، أشهرها قرطاج، كما أستوحوا من الحضارة "البونيقية" تأسيسهم لإمبراطورتهم بإسبانيا.

03) نشأته وحكمه:

ان يوبا الثاني - الذي تربى في العاصمة الإيطالية- قد كان حليفا للرومان، وتابعا وفيا لهم، وصنيعة في أيديهم. لذلك، سمحوا له بإدارة مملكتي موريطانيا الطنجية وموريطانيا القيصرية على حد سواء.

وقد حكم يوبا الثاني موريطانيا الطنجية و القيصرية " تحت مراقبة روما، وبالنيابة عنها طوال الفترة بين 25 و23 قبل الميلاد، قام خلالها بتمهيد السبيل أمام الحكم الروماني."

وعليه، فأول ما قام به يوبا الثاني، كما قلنا سالفا، بمساعدة ابنه بطليموس الذي تولى شؤون القيادة العسكرية، توحيد القبائل الأمازيغية في المغرب، وتمدين مملكته حضاريا وثقافيا وعلميا، ثم تزيينها عمرانيا وهندسيا بالطريقة الجمالية اليونانية والرومانية والقرطاجنية والأمازيغية، في إطار وحدة سياسية ومجتمعية وثقافية عامة، تنصهر فيها جميع هذه الملامح الموروثة. وبعد ذلك، اتخذ يوبا الثاني عاصمتين لمنطقة نفوذه (شرشال) في الجزائر التي سماها بال(قيصرية) إرضاء للروم ولإمبراطورها قيصر، فأمر يوبا الثاني رعاياه الأوفياء بتقديس القيصر بصورة رسمية، كما جعل من (وليلي) عاصمة له في المغرب كما يعتقد كاركوبينو .

هذا، وقد أنشأ يوبا الثاني في عاصمتيه" شرشال" و" وليلي" حكما ديمقراطيا نيابيا تمثيليا، إذ طالب بتكوين مجلس بلدي يتم انتخاب أعضائه من بين المواطنين الأحرار، ويتولى كل مجلس تسيير أمور المدينة على غرار المدينة الرومانية .

اضافة الى هدا فقد حقق عصر يوبا الثاني طفرة اقتصادية متنوعة، وازدهارا تجاريا كبيرا ؛ لأنه شجع الزراعة والصناعة والتجارة. وأقام مشاريع صناعية كبرى في عدة مدن، مثل: صناعة الأصباغ الأرجوانية، وتمليح السمك، وصنع الكاروم (Garum)، وهو مرق مصنوع من السمك، يستعمل عوض التوابل لطهي الطعام (يشبه كنور السمك حاليا)، ويستعمل كذلك دواء في الاستشفاء من بعض الأمراض.

وفي الحقيقة، فقد تميزت أيام يوبا الثاني (25 ق.م-33 بعد الميلاد) بالازدهار الاقتصادي في جميع المجالات، وعلى جميع المستويات والأصعدة والقطاعات. وبطبيعة الحال، فقد كان عصر يوبا الثاني عصر الرخاء الاقتصادي، وعهد التطور التجاري، وفترة تحسن الأحوال الاجتماعية، وانتعاش النهضة الفكرية والثقافية.

04)اسهاماته الثقافية والفكرية:

تعد إسهامات يوبا الثاني في مجال الثقافة والفكر أهم من إنجازاته السياسية والإدارية والاقتصادية،فقد كان سياسيا ومفكرا ومثقفا وكاتبا ومختصا في عدة مجالات.

أ)مؤلفاته:يعتبر أغسطس أو يوبا أو جوبا الثاني - إلى يومنا هذا- من كبار العلماء والمثقفين الأمازيغ الذي عرفوا عند اليونان والرومان والمثقفين اللاتين بسعة المعرفة، والتبحر الموسوعي.إذ كان يمتاز بكثرة العلم والاطلاع، وكان كثير السفر والبحث والتجوال، وموسوعي المعارف والفنون. وقد ألف كثيرا من الكتب والبحوث والمصنفات في التاريخ والجغرافيا والرحلة والطبيعيات والفنون والآداب والطب والعلوم الاستكشافية. لكن هذه المؤلفات النادرة والثمينة لم تصل إلينا سليمة، بل ثمة إشارات إليها في كتب المؤرخين مبثوثة هنا وهناك...

ومن أهم هذه الكتب التي ألفها يوبا الثاني، نذكر: ليبيكا، وأرابيكا، وموسوعة الموسيقى الضخمة، وكتاب تاريخ روما، و الآثار الرومانية، وكتاب الأشباه(15 جزءا)، ومختصر الآشوريين (جزءان)، ورسالة صغيرة عن نبات أوفورب، وكتاب عن فن الرسم أو الرسامين (ثمانية أجزاء)، وتاريخ المسرح، وغيرها من الكتب والرسائل والمخطوطات الضائعة...

وعليه، فقد كان يوبا الثاني - حسب شارل أندري حوليان- في كتابه(تاريخ شمال أفريقيا):" يحسن اليونانية واللاتينية والبونيقية، وكان في تآليفه آخذا من كل شيء بطرف، فلم يبق علم واحد غريبا عنه، وكان في إمكانه أن يكتب في كل موضوع بفضل مكتبته الثرية ونساخه الذين لا يعرفون التعب .غير أن تآليفه لم تبق

بعده، ولعله من المؤسف أن يكون كتاب ليبيكا قد ضاع، إذ ربما وجدنا في كتاباته عرضا لبعض المعلومات عن التقاليد المحلية."